أثر الفاصلة القرآنية في التماسك النصي الصوتي في سور الحواميم السبع

م.م. فائزة ثعبان منسي الموسوي

وزارة التربية

الملخص

يتناول هذا البحث موضوع الفاصلة القرآنية بوصفها وسيلة من وسائل التماسك النصي الصوتي، وكان هدفه الأساس بيان الجوانب الصوتية والإيقاعية التي أسهمت في تحقيق الترابط الصوتي بين آيات سور الحواميم السبع .

المقدمة

الحمد لله حمدا كثيرا، والصلاة والسلام على من جعله الله سراجا منيرا، وعلى آله الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، أما بعد .

تعد الفاصلة القرآنية ركنا مهما من أركان البنية الإيقاعية التي تمتاز بها نهايات الآيات و تعد إحدى ركائز الإعجاز القرآني بما تؤديه من وظائف متنوعة للمستويات اللفظية والمعنوية والصوتية إلى جانب الوظائف الجمالية الموسيقية، وبهذا تكون هذه البنية الإيقاعية عاملا من عوامل الربط الصوتي بما تمتلك من تأثيرات سمعية تؤدي إلى أيجاد علاقات ربط نغمي بين الآيات، فالإعجاز الصوتي للقرآن الكريم يتحقق عبر انتظام العلاقات الداخلية للبنية الصوتية [1]. وستبدأ الدراسة في تناولها لهذا الموضوع بالتعريف بالفاصلة القرآنية لغة واصطلاحا ليتحدد المفهوم، وتبرز الأبعاد الصوتية التي يتحقق عبرها التماسك الصوتي بين الآيات أو المقاطع القرآنية، وانتهج البحث المنهج الوصفي والمنهج الاستقرائي والمنهج الإحصائي ، وذلك بعرض آراء العلماء وأقوالهم في موضوع الفاصلة القرآنية، ومدى مقاربة هذه الآراء وتلكم الأقوال لمفهوم الترابط والتماسك، مع تقديم جداول إحصائية كاملة لفواصل

الآيات في سور الحواميم، وتحليل ومناقشة مدى مساهمتها في عملية الربط الصوتي، وقوة تأثيرها في التماسك النصي.

الفاصلة لغة:

جاء في لسان العرب أن " **الفاصلة : الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام، وقد فصّل النظم، وعقد مفصل، أي: جعل بين كل لؤلؤتين خرزة**" [2]، فالفاصلة بهذا المعنى هي شيء يفصل بين شيئين ، وهي مشتقة من الفعل (فصل) وجمعها فواصل [3] .

الفاصلة اصطلاحا:

لا يبعد المعنى الاصطلاحي للفاصلة عن معناها اللغوي، فقد عرفها الباقلاني (403هـ) قائلا: " **وأما الفواصل فهي حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني وفيها بلاغة**" [4] ، وعرفها الزركشي (794هـ) بقوله : " **هي كلمة آخر الآية، كقافية الشعر وقرينة السجع**" [5] . أي أنها تشابهها، غير أن هذا التشابه لا يجيز أن تطلق تسمية القافية على الفاصله، وهذا ما أجمع عليه علماء العربية، فـ " **لا يجوز تسميتها قوافي إجماعا؛ لأن الله تعالى لمّا سلب عنه اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضا؛ لأنها منه وخاصة في الاصطلاح، وكما يمتنع استعمال القافية يمتنع استعمال الفاصلة في الشعر، لأنها صفة لكتاب الله فلا تتعداه** " [6].

لقد كانت بدايات مصطلح الفاصلة عند الخليل(175هـ) وتلميذه سيبويه (180هـ)، إذ أطلقا مصطلح الفاصلة على مقاطع آيات القرآن الكريم، غير أن مصطلح الفاصلة لم يستقر حينها، فعند مجيء الفراء (207هـ) عرض لهذا المصطلح عبر مصطلحات أخرى كـ (رؤوس الآيات، والفصول، وآخر الآية، وآخر الحروف، وأواخر الحروف، وقد استقر هذا المصطلح عند الجاحظ (255هـ)، الذي نقل عنه تسميته لآخر الآيات بالفاصلة، واستوى مصطلح (الفاصلة) على سوقه عند أبي الحسن الأشعري (324هـ)، وتلميذه القاضي الباقلاني، وبعد الأشعري بزمن الرماني (384هـ)، فشاع تداوله وخصصت له فصول مطولة في مؤلفات العلماء من كتب الإعجاز وعلوم القرآن والنقد والبلاغة [7] .

من هذا نخلص إلى أن الفاصلة هي الشيء الذي تنتهي عنده الآية لتبدأ بعدها آية أخرى، مؤدية دورا مهما في إيضاح وتبيين الدلالة والمعنى، إلى جانب تأثيرها الفاعل في

الإيقاع الحاصل في النص، ليتحقق في النهاية الانسجام والتماسك الصوتي في النص، عبر تكرار هذا الإيقاع وتنوعه الذي يعطي أبعادا شعورية توحي بالجمال والراحة والمتعة عند قراءة النص.

وقد تحقق كل ذلك في سور الحواميم السبع، فالفواصل فيها أدت دورها في تماسك هذه السور صوتيا، فتوزعت فيها بنحو جميل معجز، وتكررت تكرارا محببا لطيفا خادما للمعنى الأساسي في السور ومؤكدا للمضامين المركزية التي استندت إليها هذه السور.

وفيما يأتي جدول يبين عدد ورود وتكرار حروف الفواصل القرآنية في سور الحواميم

حروف الفواصل قبلها مدّ	السور	الآيات الواردة فيها	مج	مج نهائي
ن	غافر	10، 14، 23، 57، 58، 59، 60، 61، 62، 63، 64، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 84، 85	32	246
	فصلت	3، 4، 5، 6، 7، 8، 9، 10، 11، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 33، 37، 38	30	
	الشورى	25، 36، 37، 38، 39، 40	6	
	الزخرف	2، 3، 5، 6، 7، 8، 10، 11، 12، 13، 14، 15، 16، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41، 42، 44، 45، 46، 47، 48، 49، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 56، 57، 58، 60، 62، 63، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 72، 73، 74، 75، 76، 77، 78، 79، 80، 81، 82، 83، 85، 86، 87، 88، 89	78	
	الدخان	2، 3، 5، 7، 8، 9، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36، 37، 38، 39، 40، 41،	44	

		45، 50، 51، 52، 53، 54، 55، 58، 59		
	الجاثية	3، 4، 5، 6، 9، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 21، 22، 23، 24، 25، 26، 27، 28، 29، 30، 31، 32، 33، 34، 35، 36	30	
	الأحقاف	3، 4، 5، 6، 7، 9، 10، 12، 13، 14، 15، 16، 17، 18، 19، 20، 22، 23، 25، 26، 27، 28، 29، 32، 34، 35	26	
م	غافر	1، 2، 7، 8، 9	5	64
	فصلت	1، 2، 12، 32، 34، 35، 36، 43	8	
	الشورى	1، 3، 4، 5، 12، 21، 32، 42، 45، 51، 52	11	
	الزخرف	1، 4، 9، 17، 31، 43، 61، 64، 65، 84	10	
	الدخان	1، 4، 6، 11، 17، 26، 42، 43، 44، 46، 47، 48، 49، 56، 57	15	
	الجاثية	1، 2، 7، 8، 10، 11، 37	7	
	الأحقاف	1، 2، 8، 11، 21، 24، 30، 31	8	
ر	غافر	3، 6، 12، 16، 19، 20، 35، 39، 41، 42، 43، 47، 52، 55، 56	15	38
	فصلت	39، 40	2	
	الشورى	7، 8، 9، 11، 15، 22، 23، 24، 27، 29، 30، 31، 33، 34، 43، 47، 48، 49، 50، 53	20	
	الأحقاف	33	1	
ب	غافر	5، 13، 17، 22، 24، 27، 28، 30، 34، 36، 37، 40، 45، 46، 49، 53، 54	17	23
	فصلت	45	1	
	الشورى	10، 13، 14، 17، 20	5	

د	غافر	4، 26، 29، 31، 32، 33، 38، 44، 48، 51	10	21
	فصلت	13، 42، 44، 46، 47، 52، 53	7	
	الشورى	16، 18، 26، 28	4	
ل	غافر	11، 25، 50	3	8
	الشورى	6، 41، 44، 46	4	
	الزخرف	59	1	

من الجدول الإحصائي السابق نلحظ ما يأتي :

- إن الفاصلة المتمثلة بحرف (النون) المسبوقة بحروف المد كانت هي الفاصلة المركزية في هذه السور، إذ تكررت (246) مرة في عموم سور الحواميم، فبلغ تكرارها مسبوقة بحرف الواو (154) مرة، كما في قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (57) وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ (58) إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (59)﴾ (غافر/57-59)، وتكررت مسبوقة بحرف الياء (92) مرة، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (9) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ (10) ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (11)﴾ (فصلت/9-11)، والنون حرف جهري متوسط مستعل منفتح مذلق، وهو أحد حروف الغنة الملازم لها [8]، وهذه الصفات لهذا الحرف جعلته يمتلك قدرة موسيقية مميزة وإثارة نطقية تمكنه من أن يكون له تأثير في المتلقي فيوقظ شعوره ويجعله مستعداً من الناحية النفسية لاستقبال ما يبث إليه من معان مختلفة . و" **قد كثر في القرآن الكريم ختم كلمة المقطع من الفاصلة بحرف المد واللين وإلحاق النون؛ وحكمته وجود التمكن من التطريب بذلك** " [9] .

فحرف النون المسبوق بحروف المد واللين يوجد حالة من الإيقاع الجميل المحبب للنفس، الذي يثير في المستمع أو المتلقي أو قارئ النص حالة شعورية ممتعة، وتضفي موسيقى جميلة يستذوقها السمع ويطرب لها القلب فيتفاعل مع النص تفاعلا ايجابيا.

- إن الفاصلة القرآنية المتمثلة بحرف (الميم) قد تكررت (64) مرة، في عموم سور الحواميم، وجاءت مسبوقة بحرف المد الياء (62) مرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (الزخرف/17)، ومسبوقة بحرفي المد الألف والواو مرة واحدة لكل واحد منهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (الشورى/32)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ (الدخان/43)، والميم صوت جهري متوسط مستفل منفتح مذلق، وهو يشارك صوت النون من ناحية ملازمته للغنة، وهي صفة صوتية جميلة تمنحه مستوىً نغمياً ملائماً يتناسب مع الحديث عن صفات الله عز وجل في مثل (العليم، الحكيم، الرحيم، العليم، العظيم)، وهو مناسب كذلك في وصف العذاب في مثل (الجحيم، اليم، مقيم، الأثيم، الحميم)، ووصف الأشياء عموما كالفوز والحظ والموالاة والصراط والإنسان وغيرها كما في مثل (العظيم، حميم، مستقيم، كظيم، حكيم، كريم، أثيم)، فالجهر والوضوح السمعي والغنة الموجودة في هذا الحرف جعلته مناسبا ليكون فاصلة في مثل هذه الموضوعات؛ لأنه بهذه الصفات وبوجود صوت المد قبله منحه مدة زمنية نطقية طويلة نسبياً لاسيما أنه مسبوق بمد طويل، لتفسح المجال للتفكر وتأمل هذه الصفات وتصورها وتخيلها في الذهن، وبالتالي تخيل الموضوع كله الذي تتحدث عنه هذه الصفات .

فالجانب الصوتي الذي يتمتع به هذا الحرف كان عاملاً مهماً في ربط أجزاء النص بعضها ببعض وربطها بالفكرة والموضوع أيضاً .

- اتخذت الفاصلة في سور الحواميم عامة حرفين مركزيين كان من أثرهما أن أحدثا بتكرارهما وحدة موسيقية وإيقاعية متناسقة مع وحدة الموضوع الذي تحدثت عنه السور، فقد ارتكزت الفاصلة القرآنية فيها إلى حرفي النون والميم المسبوقين بحروف المد، وهما

حرفان موسيقيان يثيران أحساسا بالمتعة والجمال عند القارئ، " **وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ... وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن**" [10] .

- أما الفاصلة القرآنية المتمثلة بحرف (الراء) فقد تكررت (38) مرة في سورة غافر وفصلت والشورى والاحقاف من سور الحواميم، فجاءت مسبوقة بالياء المدية (21) مرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (39) إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (40)﴾ (فصلت/39-40)، ومسبوقة بالألف المدية (10) مرات، كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ (6)﴾ (غافر/6)، ومسبوقة بالواو المدية (7) مرات، كما في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (23) أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (24)﴾ (الشورى/23-24) . والراء صوت جهري متوسط مستفل منفتح مذلق منحرف مكرر، وهذه الصفات منحته القدرة على أن يتناسب مع حالة الوعيد والتذكير بمصير المكذبين بآيات الله جل جلاله وما سيلاقونه من عذاب النار، فصفة التكرار التي ينفرد بها هذا الحرف مع صفة الجهر التي تعطيه قوة في النطق ، إلى جانب صوت المد الذي يسبقه سواء أكان واوا أم ياء أم ألفا، ذلك كله جعله ذا بعد صوتي وجرس قوي يوحي بحالة شعورية متصاعدة مع تصاعد حدة القول، فالكلمات مثل (صدور، شكور، الأمور، كفور، ذكور) تناسب معها حرف الراء المكرر مع حرف المد الواو ليعبر عن الحالة الشعورية الناتجة عن ذكر هذه الصفات التي غالبا ما وردت بصيغة المبالغة (شكور، كفور)، لإعطائها بعدا دلاليا أكبر، أو وردت بصيغة جموع الكثرة (صدور،

أمور، ذكور)، للدلالة على عدد غير محدد كثرة والموحي باللانهاية، ومثلها الكلمات (مصير، كبير، بصير، قدير، سعير، نصير، قدير، كثير، نكير) الورادة على صيغة المبالغة أيضا الموحية بالكثرة لذلك ناسبها حرف الراء المكرر الذي يعطي بعدا أوسع للمعنى، أما الكلمات (نار، قهار، جبار، قرار، غفار، دار، إبكار) فالألف المدية فيها السابقة لحرف الراء المتكرر فضلا عن الحرف المشدد قبل الألف في بعض الكلمات أعطاها جرسا قويا مدويا لافتا للانتباه وشادا للإدراك، وهو مناسب هنا في مقام الحديث عن القيامة وما فيها من عذاب النار ووصف لذلك اليوم الرهيب وما ينتظر الكفار فيه . فـ " **لا تغيب أهمية صفات الحروف وجرسها في إنشاء التوقيع الصوتي في القرآن الكريم، إذ تتعاضد صفات الحرف مع صفات مجاورة من ناحية، ويقوم تباين المخرج من حرف لآخر بإظهار شخصية الحروف لتؤدي دورها الصوتي من ناحية أخرى** " (11) .

إن الفاصلة القرآنية في كل ما تقدم جاءت متوافقة ومتلائمة مع الموضوع الرئيس في السور، وهذا ما جعلها تكون أداة صوتية للتماسك النص بورودها وتكرارها في النص وبما تحمل من صفات ومزايا نطقية وصوتية مكنتها من تحقيق التماسك المطلوب .

- وكذا الفاصلة القرآنية المتمثلة بحرف (الباء)، فقد تكررت هي الأخرى في سور الحواميم (23) مرة، منها (16) مرة مسبوقة بالألف المدية، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (5)﴾ (غافر/5)، و(7) مرات مسبوقة بالياء المدية، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ(10)﴾ (الشورى/10) . والباء صوت جهري، شديد مستفل منفتح مذلق مقلقل، وهو صوت قوي جدا تنطبق معه الشفتان تماما ثم تنفتح حين النطق به فيخرج انفجاريا مدويا، وبصفته هذه يناسب وروده في مقام الحديث عن (العقاب، والحساب، والعذاب، وكذاب، والأحزاب، ومرتاب، والأسباب، وتباب، والكتاب، والألباب) وأيضا (ينيب، ومريب، قريب، ونصيب)، فالكلمات كلها ذات طابع نفسي مخيف ومرعب؛ لأن الحديث

فيها عن يوم القيامة وما فيه من حساب وعقاب وعذاب، فكان لزاما أن تكون الفاصلة هنا موحية بهذه الحالة الشعورية عبر قوة النبر وشدة الصوت ووقع الإيقاع، فصوت الفاصلة هنا بتكرارها تصوير لدقات القلوب القوية الشديدة من شدة هول المقام الذي هم فيه في تلك اللحظات . أما صفة القلقلة التي يتصف بها هذا الحرف فتجعله مناسبا في هذا المقام ليتشابه مع قلقة نفوسهم وقلوبهم وحالتهم الشعورية في مشهد القيامة ومعاينة العذاب .

إن الفواصل هنا بمثابة الجرس أو المنبه الصوتي الذي يتصاعد حينا وينزل حينا آخر تبعا لتكرار الفاصلة زيادة أو نقصانا في النص، إذ إن هذا التكرار له تأثير مباشر في دلالة الموضوعات التي احتوتها السور، وتأثيره هذا يحدث ربطا وتماسكا صوتيا وموضوعيا في النص .

- أما الفاصلة القرآنية المتمثلة بحرف (الدال) فقد تكررت في هذه السور (21) مرة مسبوقة بحروف المد، فسبق بالألف (10) مرات في سورة غافر فقط، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ (4)﴾ (غافر/4)، وبالياء (10) مرات في سورتي فصلت والشورى، كما في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)﴾ (فصلت/42)، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ (16)﴾ (الشورى/16)، وبالواو (1) مرة واحدة في سورة فصلت، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ (13)﴾ (فصلت/13)، والدال صوت جهري شديد مستفل منفتح مصمت مقلقل، وبصفاته هذه ناسب الحديث في سورة غافر عن فرعون وقومه وقصة مؤمن آل فرعون معهم، وقد سبق في المواضع كلها بـ (الألف) المدية التي منحت الحديث بعدا صوتيا طويلا ليناسب مقام المجادلة بين مؤمن آل فرعون وقومه من جهة، وليحدث جرسا موسيقيا مميزا ترتاح له الأسماع لتتهيأ لاستقبال

ما سيطرح عليها من فكرة، فيكون وسيلة نطقية للتأثير في النفس والإقناع من جهة أخرى كما في الكلمات (البلاد، فساد، رشاد، للعباد، التناد، هاد، الأشهاد) .

وكذلك الحال في سورتي فصلت والشورى فقد جاءت الفاصلة فيهما مسبوقة بـ (الياء) المدية لتتناسب مع الحديث عن صفات الله عز وجل وعن كيفية أخذه للكافرين، فكان صوت المد (الياء) مؤثرا في إبراز حالة التهويل وإعطاء مدى واسع وكبير للمعنى يمتد بامتداد صوت (الياء) كما في الكلمات (حميد، بعيد، للعبيد، شهيد، شديد) . أما الحالة الوحيدة التي جاء فيها صوت المد بـ (الواو) فهي في سورة فصلت في كلمة (ثمود) وكان لزاما أن تأتي بهذه الكيفية؛ لأن الحديث كان عن الأقوام الذين حل عليهم عذاب الله نتيجة إعراضهم عن عبادته ﷻ وهم قوم عاد وثمود، وهما قومان متلازمان في الذكر دائما لأنهما إنموذج للموعظة والخوف من نزول عذاب الله .

- والفاصلة القرآنية المتمثلة بحرف (اللام) تكررت (8) مرات في سورة غافر والشورى والزخرف فقط من بين سور الحواميم: (6) مرات مسبوقة بالياء المدية، كما في الكلمات (سبيل، وكيل، إسرائيل)، و(2) مرتين مسبوقة بالألف المدية، كما في كلمة (ضلال)، واللام صوت جهري متوسط مستفل منفتح مذلق منحرف، فهو يتلاءم ويتناسب مع تصوير مشاهد معينة تتسم بالخضوع والتذلل فكلمة (سبيل) وردت (4) مرات، مرتان في مقام التوسل لإيجاد سبيل للخروج من العذاب، ومرتان تنفيان أن يكون هناك سبيل على الذين ينتصرون بعدما ظلموا في الأولى، أو نفي أن يكون هنالك سبيل للخروج من العذاب الذين يتوسلون الخروج منه في الثانية، فالمقامان الأولان أحدهما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ (11)﴾ غافر/11، والآخر في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ (44)﴾ الشورى/44، فالمسافة الفاصلة بين الموضعين كبيرة نسبيا، ولكنهما مترابطان من ناحية الشكل والموضوع والفكرة وحرف الفاصلة والصوت، أي إن الجانب الصوتي كان له الأثر مع سائر الجوانب الأخرى في إحداث حالة الربط والتماسك بين آيتين بعيدتين نسبيا عن بعضهما وتقعان في سورتين مختلفتين، وهذا دليل

على نصية هذه السور وترابطها، أما المقامان الآخران فهما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ (41)﴾ الشورى/41، وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ (46)﴾ الشورى/46، فشملتهما الفكرة المتقدمة نفسها من حيث كونهما مترابطتين متماسكتين بفعل وسائل ربط متعددة منها الفاصلة القرآنية وتكرارها وما يحدثه هذا التكرار من ترابط صوتي وإيقاعي . أما كلمة (ضلال) التي وردت مرتين في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (25)﴾ غافر/25، وقوله تعالى: ﴿قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (50)﴾ غافر/50، ففي كليهما تأكيد أن ما يفعله الكافرون كله هو في ضلال وتيه، وهنا أيضاً نلحظ ترابط الفكرة والموضوع والفاصلة القرآنية والإيقاع الصوتي مع بعد المسافة التي تفصل بين الآيتين .

- ولعل من أبرز ما لاحظناه أن جميع حروف الفاصلة القرآنية في هذه السور السبع مجتمعة نصا واحدا قد سبقت بحروف المد الطويل، وهو المد العارض للسكون الذي يقتضيه الوقوف على آخر الآيات من دون استثناء، وهذا مما يقوي عرى التماسك بين هذه السور التي تعد نصا واحدا متماسكا .
- إن الفاصلة في هذه السور مجتمعة نصا واحدا ارتكزت بالدرجة الأساس على حروف الجهر، المتباينة بين الشديدة كـ (الباء، الدال) والمتوسطة كـ (ر، ل، م، ن)، وهو شيء يتناسب مع موضوعات السور المكية عموما، وسور الحواميم على وجه الخصوص، لأنها سور ذات موضوعات تتسم بالحدة والشدة والمجادلة والوعظ والتذكير بأنعم الله وآياته والتوعد لمن ينكر هذه النعم ويشكك بهذه الآيات، لذلك ناسب أن تأتي الفاصلة بحروف جهرية شديدة حينا ومتوسطة حينا آخر بحسب ما يقتضي المقام .

- إذا ما نظرنا إلى فواصل الآيات بحسب السور (متفرقة) نلحظ أن الفواصل القرآنية في سورة غافر وفصلت والشورى جاءت متنوعة مما يحدث تنوعا إيقاعيا يتلاءم مع تنوع الموضوعات فيها، فعليه " **يتنوع الإيقاع الموسيقي المتناسق في السورة تبعا لتنوع نظام الفواصل** " [12] . غير أن هذا التنوع الموضوعي في هذه السور لا يخرجها عن تلاحمها وتماسكها؛ لأن الفواصل القرانية مهما تباعدت موضوعيا في ظاهر الأمر إلا أن بنيتها العميقة تدعمها وتقويها [13]، وبهذا يكون " **الإيقاع في النص القرآني الكريم قد تحرر من كل قيد يقيد المعنى، أو يحد من النظام الصوتي، مما أدى إلى حرية التعبير وامتلاك آفاق رحبة من التآلف والتلازم والانسجام** "[14] .
- أما الفاصلة القرآنية في سورة الزخرف فقد ارتكزت على (النون والميم واللام) فقط، وهي حروف متطابقة من ناحية الصفات فكلها (جهرية، متوسطة، مستفلة، منفتحة، مذلقة) ويزيد عليها حرف (اللام) كونه منحرفاً، ولكنه يوافق النون من ناحية المخرج؛ لأن " **كل حرف له صوت، ترجع طبقته من التنغيم إلى مخرجه من جهاز النطق** " [15]، فهما يشتركان بطبقة تنغيمية واحدة تجعل منهما فاصلتين متقاربتين ، فالفواصل في هذه السورة متقاربة جدا؛ لأن " **الفواصل قد تقع على حروف متجانسة، كما قد تقع على حروف متقاربة**" [16]، وهذا التقارب يؤدي إلى ترابط وتجانس بين فقرات الآيات في هذه السورة، وتجانسها وتقاربها مع سائر الفواصل في السور الأخرى يربطها بها ربطا يجعل منها نصا واحدا .
- وفي سورتي الدخان والجاثية فإن الفاصلة القرآنية قد اقتصرت على حرفي (النون والميم) فقط وكلاهما من حروف الغنة ويشتركان في الصفات نفسها، مما يحقق إيقاعا موسيقيا ونغميا خاصا، فالإيقاع هو " **من أهم مكونات النظم القرآني وخصيصة مهمة في تشكيل أدائه، وهو عامل جمالي في المظهر الصوتي للقرآن الكريم** " [17]، والإيقاع عامل مهم من عوامل التماسك والترابط الصوتي في هذه السور .
- وفي سورة الاحقاف اقتصرت الفاصلة القرآنية على حرفي (النون والميم) بالدرجة الأساس، مع موضع واحد فقط اعتمد فيه حرف الراء فاصلة، والراء يتشابه في الصفات مع النون والميم ويزيد عليهما صفتي الانحراف والتكرير، والنون والميم يزيدان عليها

بالغنة، فالآية التي كانت الراء فاصلة قرآنية فيها كانت تتحدث عن قدرة الله في الخلق وإحياء الموتى فتناسب هذا الموضوع مع صفة التكرار في حرف الراء.

الخاتمة والنتائج

توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية :

1- إن الفاصلة القرآنية في سور الحواميم كانت وسيلة من وسائل التماسك النصي الصوتي في هذه السور.

2- إن جميع الفواصل القرآنية في سور الحواميم من دون استثناء، جاءت مسبوقة بحروف المد الثلاثة (الألف، والواو، والياء)، مما أضفى عليها إيقاعاً ونغماً طويلاً نسبياً، متلائما مع موضوعات ومضامين هذه السور من جهة، ومساهما في إيجاد روابط صوتية عبر هذه الفواصل وحروف المد معاً من جهة أخرى.

3- كثرة مجيء حرفي (النون، والميم) كفاصلة قرآنية في سور الحواميم السبع؛ لما لهذين الحرفين من مزايا سمعية وإيقاعية مؤثرة في النفس، تتلاءم ومقام الحديث عن آيات الله ﷻ ، والدعوة للإيمان بها، وتخويف المعاندين الجاحدين بها .

الهوامش :

(1) ينظر: قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل عام)، مازن الوعر، دار طلاس للدراسات، ط1، دمشق، 1988م : 63 .

(2) لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (فصل) .

(3) ينظر: المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، ط30 ، دار المشرق، بيروت ، 1988م : 585 ، مادة (فصل).

(4) إعجاز القرآن ، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (403هـ) ، تح : سيد أحمد صقر، ط3، دار المعارف القاهرة ، 1972م : 270 .

(5) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت) : 1 / 53 .

(6) معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر السيوطي(911هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ – 1988م : 1 / 25 .

(7) ينظر: الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط2، دار عمار، عمان ، 2000م : 34 – 41.

(8) ينظر: سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تح: د. حسن هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق، 1985م : 2 / 435 .

(9) البرهان في علوم القرآن، الزركشي: 1 / 68 .

(10) إعجاز القرآن وبلاغة النبوة، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م : 150 .

(11) الايقاع في القرآن الكريم – السور المكية، عبد الله محمد ياسين الشمايلة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1999 م : 73 .

(12) البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط3، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1992م : 198 .

(13) ينظر: الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي(911هـ)، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، (د.ت) : 2 / 44.

(14) الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم ديوبند، ع11، السنة 33، ذو القعدة 1430هـ – نوفمبر 2009 م .

(15) التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م: 12.

(16) إعجاز القرآن، الباقلاني : 270 .

(17) الإيقاع في القرآن الكريم – السور المكية، عبد الله محمد ياسين الشمايلة : 70 .

المصادر والمراجع :

1- الإتقان في علوم القران، جلال الدين السيوطي (911هـ)، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية،(د.ت): 445/2.

2- الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، مجلة الداعي الشهرية، دار العلوم ديوبند، ع11، السنة 33، ذو القعدة 1430هـ – نوفمبر 2009 م .
3- إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (403هـ) ، تح : سيد أحمد صقر، ط3، دار المعارف القاهرة ، 1972م.
4- إعجاز القرآن وبلاغة النبوة، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، 2005م .
5- الإيقاع في القرآن الكريم – السور المكية، عبد الله محمد ياسين الشمايلة، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، 1999 م .
6- البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (794هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت) .
7- البيان في إعجاز القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط3، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 1992م .
8- التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1986م .
9- سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، تح: د. حسن هنداوي، ط1، دار القلم، دمشق، 1985م .
10- الفاصلة في القرآن، محمد الحسناوي، ط2، دار عمار، عمان ، 2000م .
11- قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديث (مدخل عام)، مازن الوعر، دار طلاس للدراسات، ط1، دمشق، 1988م .
12- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن ابي بكر السيوطي(911هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1408هـ – 1988م.
13- المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، ط30 ، دار المشرق، بيروت، 1988م.